

الأسف، حتى كنت أحسبك حية. فلو أنهم وقفوا على ذلك، لسخروا مني. إذ لا يجوز لمن كان في سني أن تكون له أفكار غريبة، ولا أن يقدم اعترافات، فذلك يضحى مبعث هزء، يا عزيزتي. ويتوجب عليّ اغتنام هذه اللحظات الأخيرة التي ما انفك شملنا فيها مجتمعاً. لهي آخر فرصة أحدثك فيها، حتى بغير أن أحرك شفتي، فأروي لك الحقايق التي لا أؤمن عليها أيّ إنسان. أودّ أن أذكر لك مثلاً أمراً عجباً، أمراً لا أفهمه: إن الوقائع البارزة في حياتنا، تلك التي لا سبيل إلى نسيانها، قد فقدت اليوم هذه الميزة. فليس زواجنا أكثر أهمية بقدر ما احتفظ من ذكرى عنك، حين رأيتك بأعجوبة، قبيل حفلة الزفاف بفستان عرسك. أذكر كذلك كم كانت عيونك تهرق، وكم كانت ضحككتك جردى اثم ساعة أطبقوا الباب لولادة طفلنا الأول، التي لم تواتني الجراءة على حضورها. كانت تلك مع هذا واقعة خطيرة! ما عادت الآن كذلك: إنها في مستوى أيّ بادرة منك، أو بسمتك. وهي اليوم في مثل أهمية فرحك تلك البقية من الطفولة التي لم تفقدتها أبداً حين كنت أقدم لك علبة سكاكر أو قطعة فاكهة. كنت في أحيان آتيسك ببسكويت، فترفعينه جانباً، وأنا أوجحك لأنك كنت تبدين لي بخيلة، إذ لا تطعمينه من فورك، ولا تقاسمينه الآخرين. على أني كنت أزجرك بغير ضغينة، لعلمي أنّ بخلك كان وسيلة تطيلين بها بحسن نية ذكرى مني. ذاك أيضاً مما لا يسعني أن أرويه لإنسان. وإلا لقالوا إنني مشغول بالتفاهات، أو إنني أبتدع صفات لا تتحلين بها.

والآن، يا عزيزتي، مع من سوف أتقاسم تلك الذكريات؟ تمضين أنت ويظل عبء الماضي أثقل من أن أنهض به وحدي. فالكلمات - وكلنا يعرف ذلك - تظل فارغة بنحوٍ مبيتٍ وأعجز من أن تعبر عن أمور